يسوع ويوحنا المعمدان

تأليف: تومي ساوث

« وفي تلك الأيام، جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية، قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات... » (متى ٣: ١-١٢).

قد مضى ثلاثين سنة منذ اضطراب أورشليم عندما شاع الخبر عن ميلاد المسيا. ولكن لم يسمع عن أي شيء منذ زوال الاهتياج. الذين اضطربوا بسبب ميلاده يشيخون الآن، أو قد شاخوا أو ماتوا؛ والآن لا يوجد شخص يفكر به أو يتكلم عنه. حدثت بضع تغيرات سياسية منذ ذلك الحين، أغلبها لأسوأ، أصبحت اليهودية الأن محافظة رومانية يحكمها ولاة، والسادس منهم هو بيلاطس البنطي الذي احتل المنصب حديثاً. بقى المجتمع كما كان عليه من قبل - الانهماك بالشؤون الدنيوية والتنعم بالحياة كاليونانيين، وبالشكليات نفسها والتعصب الأعمى كالكتبة. لم تكن هناك علامة في أورشليم على الأقل تدل على التغيير نحو الأفضل. الشيء الجديد الوحيد المثير هو إشاعة في الشارع. يقول الناس بعضهم لبعض انه قد ظهر للوجود نبياً جديداً. « في القصر؟ » - « كلا ». « في الهيكل؟ » - « كلا ». « طبعاً في مكان ما بالمدينة. أليس كذلك؟ » - « كلا ». انه في البرية، يلبس أخشن الملابس، ويعيش على أفقر طعام - وهذا احتجاجاً على رفاهية الزمان. لا يدعي بالتعليم، لا يجذب انتباه، ولا يعطي تفسيراً غريباً، ولكن برسالة بسيطة، - والتي نقلها كأنها تأتي مباشرة من الله نفسه، - يجذب الجموع ليستمعوا إليه من كل الكورة المحيطة. فانتشرت الإشاعة في المدينة، وخرج عدد كبير {من الناس} ليروا ماذا يجرى - ربما ذهب البعض بسبب حب الاستطلاع، وآخرون بسبب الرجاء انه قد يكون فجر أبهج يوم لإسرائيل، بلا شك لقد اصبحوا كلهم مثارين بالفكرة المفرحة القائلة انه بعد قرون طويلة من الصمت، جاء نبي حقيقي، مثل هؤلاء القدماء. لانه لا بد أن يذكر انه حتى في بهجة أورشليم الشعور العميق بالفخر الوطني والوطنية أصبحت مفشي فقط، لم يبطل بالمظهر الكاذب للحضارة اليونانية والرومانية، التي تبدو انها تقنع الشعب للحظة (مقبتس من جون مونرو قبسون).

من هو هذا الذي كان يعمد - هذا الغريب، متوحد غريب في برية اليهودية، يصرخ عن التوبة ومملكة جديدة؟ لماذا انجذب إليه مثل هذا العدد الكبير؟ لماذا سبب مثل هذه الإثارة؟ يصفه متى بثلاثة طرق:

بشيراً (متى ٣: ١-٣)

يقول إنجيل متى ٣: ١: « وفي تلك الأيام، جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية ». استخدم متى الكلمة اليونانية « كريسو *κηρυσσων* » - وتعني « يبشر » ليصف عمل يوحنا. بشير هو المرسل من قبل الملك. كان هذا هو يوحنا حقاً. كان يعلن عن مجيء ملكوت الله (الآية ٢) وأمر سامعيه أن يعدوا الطريق لمجيء المسيا. خلق يوحنا إثارة كبيرة ليست عن نفسه، وإنما عن الذي يأتي بعده، أي المسيح. يضيف إنجيل يوحنا إلى معلومتنا عن المعمدان ونشاطاته ما يلي:

> شهد له يوحنا قائلاً: « هذا هو الذي قلت عنه: إن الذي يأتي بعدي صار قدامي لأنه كان قبلي » (يوحنا ١: ١٥).
>
> وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه: « من أنت؟ » فاعترف ولم ينكر، وأقر: « أني لست أنا المسيح ». فسألوه: « إذاً ماذا؟ إيليا أنت؟ » فقال: « لست أنا ». « ألنبي أنت؟ » فأجاب: « لا ». فقالوا له: « من أنت، لنعطي جواباً للذين أرسلونا؟ ماذا تقول عن

نفسك؟ » فقال: « أنا صوت صارخ في البرية: قوموا طريق الرب، كما قال إشعياء النبي » (يوحنا ١: ١٩-٢٣).

لا بد أن ندرك بعض الحقائق عن رسالة البشير:

أولاً: تكون رسالة البشير رسالة رسمية، في هذه الحالة، هي من الله نفسه. لم تكن رسالة يوحنا من ابتكاره، ولكن أعطيت له ليعلنها. الذين يبشرون بالإنجيل اليوم مازالوا يعملون على هذه الأسس نفسها؛ الرسالة التي نبشر بها ليست منا وإنما هي الخبر السار الذي أعطانا الله لنعلنه.

ثانياً: رسالته هي رسالة غير قابلة للمفاوضة. لم يكن يوحنا حراً ليغير ما كان يبشر به مهما كان. ربما استاء آخرون منها، ولكن لم يكن بوسعه ان يفعل شيئاً. ما زال الإنجيل يسبب إستياء للبعض (لكثيرين!) اليوم، ولكن رسالتنا باقية كما هي.

ثالثاً: رسالة البشير هي رسالة ملزمة. لم يكن يوحنا شخصاً يطوف في الشوارع ويوزع المعلومات إلى الناس، وإنما كان ينادي بدعوى الله ليملك على حياة شعبه. يمكن لسامعيه أن يجهلوه على حسابهم فقط. لا يفرق الآن: رسالة المسيح ليست خياراً لأي شخص.

نبياً (٣: ٤-٦)

وصفت طريقة حياة يوحنا في إنجيل متى ٣: ٤ كالآتي: « ويوحنا هذا، كان لباسه من وبر الإبل، وعلى حقويه منطقة من جلد. وكان طعامه جراداً وعسلاً برياً ». لم يكن يوحنا مجرد منشق؛ تظهر طريقة حياته رموزاً ذات مغزى. وحسب ما ورد في سفر الملوك الثاني ١: ٨، كان النبي إيليا يلبس مثل يوحنا. قام إيليا أيضاً بمعظم خدمته في البرية احتجاجاً على المتعة المادية في أيامه. والآن يأتي يوحنا المعمدان يتبع أثر أقوى نبي إسرائيل.

أكد النبي ملاخي انه قبل ان يجيء يوم الرب العظيم والمخيف، « يأتي إيليا » أولاً (أنظر ملاخي ٤: ٥ و٦). حسب ما ورد في إنجيل متى ١١: ١٤؛ ١٧: ١٠-١٣، تُمم ذلك الوعد بمجيء يوحنا المعمدان! لم يكن يوحنا إيليا متجسداً مرة أخرى، ولكن الذي له الروح النبوية نفسها التي كانت تعمل في خدمة إيليا. عند الأعلان عن ولادة يوحنا التي كانت وشيكة، قال الملاك لزكريا أبو يوحنا:

> ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلاههم. ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته، ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكي يهيء للرب شعباً مستعداً (لوقا ١: ١٦ و١٧).

كانت ليوحنا المهمة نفسها كما كانت لإيليا، أي أن يرد قلوب الشعب إلى الله ويجهزهم لملكوته.

لا عجب ان يوحنا خلق إثارة وجذب مثل هذه الجموع! « خرج إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن » (متى ٣: ٥)، لأن بعد أربع مئة سنة من الصمت، تكلم الله إليهم مرة أخرى. لقد لاحظوا: انه لا بد ان عهد المسيا على وشك البداية! فقد جاء نبياً حقيقياً!

منذراً (متى ٣: ٧-١٢)

كانت رسالة يوحنا هي صرخة التنبيه لضمير إسرائيل، ودعوى لتوبة مباشرة لأنه « قد اقترب » الملكوت. كان على الناس أن يستعدوا لأن الملكوت الآتي يشمل الدينونة! كرز يوحنا قائلاً:

> أنا أعمدكم بماء للتوبة. ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذي رفشه في يده وسينقي بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن. أما التبن فيحرق بنار لا تطفأ (متى ٣: ١١ و١٢).

كانت هناك الحاجة إلى تغيير جذري، وكان الخبر هو: « توبوا! » كان يوحنا يدعو الناس ليجددوا حياتهم ويرجعوا عن طرقهم. وكعلامة للتوبة، اعتمدوا (متى٣: ٦). الجدير بالملاحظة في كرازة يوحنا هو انه كان ينادي بالمعمودية لإسرائيل كلها - ليست فقط لليهود الدخلاء!

كانت رسالته هي نفسها كما كان ينادي بإدانة الأمة اليهودية كلها. لم يكن أي منهم شعب الله الحقيقي إلا إذا اهتموا برسالة يوحنا واستعدوا لمجيء المسيا.

حدثت بعض المشاكل عندما جاء بعض الفريسيون والصدوقيون ليعتمدوا (متى ٣: ٧). كانت المشكلة في تصرفاتهم:

١. كان الكتبة والفريسيون يتظاهرون بتوبة غير حقيقية. واتهمهم يوحنا بانهم «يمرون بأحاسيس» التوبة، ودعاهم ليجعلوا التغيير حقيقي، وإلا فإن «توبتهم» لا تعني شيئاً (متى ٣: ٧ و٨). يعطي إنجيل لوقا ٣: ١٠-١٤ مثال محدد للتغييرات المراد. لا يمكن لأحد أن يتوب لله حسب الطقوس وظاهرياً. لا بد أن تبدأ التوبة من القلب وتمتد إلى الخارج، أي إلى الحياة بكاملها.

٢. وضعوا ثقتهم في غير محلها. كما ورد في الآية ٩، كانوا يعتمدون على سلالتهم كذرية إبراهيم عوضاً عن الاعتماد على الله لتبريرهم. كان عليهم أن يدركوا حقاً بان البر نحو الله هو كل ما يُحْسِب.

٣. لم تكن لهم ثمار روحية. كانوا في خطورة ان يصيروا مثل الشجرة غير المثمرة التي قطعت وألقيت في النار (الآية ١٠). لم يكن هناك البر الحقيقي، والخدمة، وقيادة الآخرين ليعبدوا الإله الحقيقي الواحد.

كان الغرض من انذار يوحنا هو انه لا بد للشخص أن يستيقظ روحياً لكي يسمع رسالة الله. إذا كانت حياتنا لا تتوافق مع مشيئته، يكون من المستحيل علينا ان نتحسس بكلمته! كان يوحنا هو نداء الله لإيقاظ إسرائيل. لا يمكنوا ان يقبلوا المسيا وتعاليمه بدون استعداد كبير. هذا ينشيء بعض الأسئلة المثيرة. إذا كان يمكن لشعب الله في العهد القديم ان يكونوا ثقيلو الفهم الروحي بحيث لا يقبلوا المسيا، فماذا عن ثقل فهم المسيحيين اليوم؟ ما مدى يقظة كنيسة اليوم في كلمة الله؟ ما مدى يقظة الجماعة التي تعبد معهم؟ ما مدى يقظتك؟ هل نحن أحياء في كلمة الله اليوم أم فؤادنا متحجر إلى حد لا نقبلها؟ هل من المحتمل اننا أيضاً منشغلين بالماديات إلى حد اصبحنا فيه مضللين كالكتبة والفريسيون؟

يوجد سؤالاً آخر وهو: كيف كان شعب الله نائماً والمسيا على وشك المجيء؟ مع انه تم التنبوء عنه في الأسفار المقدسة. كانت هناك كل العلامات. بالعبث نفسه، كيف يمكن لشعب الله ان ينام الآن ما دام المسيا قد أتى؟ وأكثر من ذلك، كيف ينام شعبه ما دمنا نعلم انه يأتي مرة أخرى؟

الخلاصة

عندما تنام روحياً، يكون هناك حلاً واحداً فقط، الحل نفسه الذي نادى به يوحنا منذ عهد بعيد: «توبوا». حوّل مسار حياتك، أجعله في توافق مع مشيئَة الله. انه كلف نبي الله القويم، ومبشر ذو نفوذ ملوكي، و ساعة تنبيه بشرية لتستيقظ إسرائيل من ركودها الروحي. شيء واحد فقط يمكن أن يوقظنا وهو كلمة الله الحية والرغبة الصادقة لعمل مشيئته.

تطبيقات على الحياة

الاذعان

«حالما يذعن للتجربة، فانها تصير قوية. الشق في السد الذي تتسرب من خلاله قطرة ماء أو كمية ضيئلة يتحول سريعاً إلى فجوة يخرج فيضاناً عظيماً».
بقلم/ ألكسندر ماكلارن

في المسيح

لدينا في المسيح...
محبة لا يمكن إدراكها:
حياة لن تنتهي أبداً:
بر لا يمكن افساده:
سلاماً لا يمكن فهمه:
راحة لن يمكن تعكيرها:
فرح لا يمكن التقليل منه:
رجاء لا يخزى:
مجد لا يعكر:
سعادة لا تعرقل
مصادر لا تنفد.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧